

روح المعاني

الراغب أن أصل الجنب الجارحة ثم يستعار في الناحية التي تليها كعادتهم في إستعارة سائر الجوارح لذلك نحو اليمين والشمال و المضاجع جمع المضجع أماكن الإتكاء للنوم أي تنتحي وترتفع جنوبهم عن مواضع النوم وهذا كناية عن تركهم النوم ومثله قول عبداً بن رواحة يصف النبي صلى الله عليه وسلم : .

نبي تجافى جنبه عن فراشه إذا أستثقلت بالمشركين المضاجع والمشهور أن المراد بذلك التجافي القيام لصلاة النوافل بالليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وغيرهم وفي الأخبار الصحيحة ما يشهد له أخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ بن جبل قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت : يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال : لقد سألت عن عظيم وأنه يسير على من يسره الله تعالى عليه تعبداً ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون الحديث .

وقال أبو الدرداء وقتادة والضحاك هو أن يصلي الرجل العشاء والصبح في جماعة وعن الحسن وعطاء هو أن لا ينام الرجل حتى يصلي العشاء أخرج الترمذي وصححه وابن جرير وغيرهما عن أنس قال : إن هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في إنتظار الصلاة التي تدعى العتمة وفي رواية أخرى عنه أنه قال فيها نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رجالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل : هو أن يصلي الرجل المغرب ويصلي بعدها إلى العشاء فقد أخرج عبداً بن أحمد في زوائد الزهد وابن عدي وابن مردويه عن مالك بن دينار قال : سألت أنس بن مالك عن هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال : كان قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأولين يصلون المغرب ويصلون بعدها إلى عشاء الآخرة فنزلت هذه الآية فيهم وقال قتادة وعكرمة : هو أن يصلي الرجل ما بين المغرب والعشاء وأستدل له بما أخرجه محمد بن نصر عن عبداً بن عيسى قال : كان ناس من الأنصار يصلون ما بين المغرب والعشاء فنزلت فيهم تتجافى جنوبهم عن المضاجع .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الآية : تتجافى جنوبهم لذكر

ا ٲ تعالى كلما أستيقظوا ذكروا ا ٲ عزوجل إما في الصلاة وإما في قيام أو قعود أو على جنوبهم لا يزالون يذكرون ا ٲ تعالى وروى نحوه هو ومحمد بن نصر عن الضحاك والجمهور عولوا على ما هو المشهور وفي فضل التهجد ما لا يحصى من الأخبار وأفضله على ما نص عليه غير واحد ما كان في الأسرار .

يدعون ربهم حال من ضمير جنوبهم وقد أضيف إليه ما هو جزء وجوز على إحتمال كون جملة

تتجافى إلخ حالية أن تكون حالا ثانية مما جعلت تلك حالا منه وعلى إحتمال كونها خبرا ثانيا للمبتدأ أن تكون خبرا ثالثا وجوز كونها مستأنفة والظاهر أن المراد بدعائهم ربهم سبحانه المعنى المتبادر وقيل : المراد به الصلاة خوفا أي خائفين من سخطه تعالى وعذابه عزوجل وعدم قبول عبادتهم وطمعا